مجلة كلية الآداب بالوادى الجديد- مجلة علمية محكمة- العدد التاسع عشر (الجزء الأول)

تصورات المؤرخين المسلمين والغربيين للحملة الصليبية الأولى: قراءة تحليلية مقارنة

د/ علي بن محمد بن عبد العزيز النغيمشي(*)

ملخص البحث:

تناولت الورقة البحثة دراسة تصورات المؤرخين المسلمين، والغربيين للحملة الصليبية الأولى من خلال قراءة تحليلية مقارنة بين الروليات، والمواقف المختلفة التي قدمها كل طرف، ولقد قام البحث بتوضيح السياق التاريخي، والسياسي للحملة الصليبية الأولى التي انطلقت أواخر القرن الحادي عشر الميلادي؛ حيث شكلت نقطة محورية في تاريخ الشرق الأوسط، وأوروبا على حد سواء.

ومن جانب المؤرخين الغربيين استعرض البحث أعمال عدة مؤرخين بارزين، مثل: فوشيه الشارتري، ووليم الصوري، وتوديبو، وآنا كومنينا، وألبرت الإخيني، وريموند داجيل، ولقد تميزت هذه الروايات بتوثيق مفصل للأحداث العسكرية، والدينية مع تأكيد على الطابع المقدس للحملة، ودعمها من قبل الكنيسة، ومع ذلك اتسمت بعض هذه الكتابات بتحيز ديني، وتعصب واضح ضد المسلمين مع استثناءات، مثل: وليم الصوري الذي قدم تحليلًا أكثر واقعية.

أما المؤرخون المسلمون فقد أبرزت آراء ابن القلانسي، وابن الأثير، بالإضافة إلى العماد الأصفهاني، وأبو شامة، وكذلك المقريزي تحليلًا شاملًا أظهر الحملة؛ كتهديد وجودي سياسي، وديني مع نقد داخلي للانقسامات التي ساهمت في سقوط المدن الإسلامية، هذا بالإضافة إلى أنهم ركزوا على الجانب الإنساني للمعاناة، والدمار الذي خلفته الحملة.

وخلص البحث إلى أن تصورات المؤرخين شكلت وعيًا تاريخيًا متباينًا يعكس اختلاف الخلفيات الثقافية والدينية؛ لكنها أيضًا ساهمت في بناء ذاكرة تاريخية متعددة الأبعاد تسمح بإعادة قراءة هذا الحدث التاريخي بفهم أكثر شمولية، وموضوعية.

الكلمات المفتاحية: الحملة الصليبية الأولى، المؤرخون المسلمون، المؤرخون الغربيون، الوعي التاريخي.

(*) أستاذ تاريخ العصور الوسطى المشارك- قسم التاريخ والتراث- كلية اللغات والعلوم الإنسانية- جامعة القصيم- المملكة العربية السعودية

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد – مجلة علمية محكمة إبريل ٢٠٢٤

Abstract:
This paper examines the perceptions of Muslim and Western historians regarding the First Crusade through a comparative analytical reading of the different narratives and perspectives offered by each side. The study outlines the historical and political context of the First Crusade, which began in the late 11th century and marked a pivotal moment in the history of both the Middle East and Europe.
On the Western historians' side, the research reviews the works of several prominent historians such as Foucher de Chartres, William of Tyre, Tudebodus, Anna Comnena, Albert of Aachen, and Raymond of Aguilers. These accounts are characterized by detailed documentation of military and religious events, emphasizing the crusade's sacred nature and its endorsement by the Church. However, some writings show clear religious bias and hostility towards Muslims, with exceptions like William of Tyre, who provided a more realistic analysis.
Regarding Muslim historians, the paper highlights the views of Ibn al-Qalanisi, Ibn al-Athir, Al-Imad al-Isfahani, Abu Shama, and Al-Maqrizi. They present the crusade as an existential political and religious threat, while critically addressing internal divisions that contributed to the fall of Muslim cities. Additionally, they emphasize the human suffering and destruction caused by the crusade.
The study concludes that these diverse historical perceptions shaped a multifaceted historical consciousness reflecting cultural and religious differences. Yet, they also contributed to creating a multidimensional historical memory that allows for a more comprehensive and objective reevaluation of this historical event.
Keywords: First Crusade, Muslim historians, Western historians, historical consciousness.

المقدمة:

إن دراسة التاريخ، والاطلاع على مجرياته من أحداث سياسية، وعسكرية تمثل ركيزة أساسية في بناء وعي الإنسان، وتعزيز قدرته على فهم الحاضر، واستشراف المستقبل، فمن خلال تحليل ما دوّنه المؤرخون من وقائع يستطيع المرء استيعاب العوامل التي قادت إلى نتائج محددة فيأخذ منها العبرة، ويتجنب تكرار أسباب الفشل؛ بل ويستطيع أن يصنع لنفسه ظروفاً مواتية لتحقيق ما يصبو إليه من انتصار، أو تقدم في شتى مجالات الحياة، فالتاريخ في جوهره هو ذاكرة البشرية الجامعة، وهو بطبيعته متصل اتصالًا وثيقًا بالسياسة، ويعد مخزوناً غنياً بالتجارب السياسية السابقة.

وقد أشار المستشرق "هرنشو" إلى هذه الأهمية بقوله: "إن القضايا التي تواجه الأجيال المعاصرة قد شـــهد للتاريخ مثيلاتٍ لها، ورغم أن للتاريخ لا يعيد نفســـه حرفيًّا؛ إلا أن كل حادثة جديدة تضـيف إلى شـبكة العلل، والنتائج بما يجعلها امتداداً لماضٍ تراكمي"، ويرى أن الفرد حين يبلغ مرحلة النضج يسترشد بتجاربه الماضية في توجيه سلوكه، وكذلك الحال بالنسبة للجنس البشري؛ إلا أن الأخير يفتقر إلى ذاكرة بيولوجية مستمرة، مما يستدعي وجود سجل يحفظ تلك التجارب، وهو ما يؤديه التاريخ بوصفه الذاكرة الجمعية للبشرية.

ويؤكد هرنشو كذلك أن التاريخ لا يزود السياسي بمجرد معلومات ماضية؛ بل يمده برؤية واقعية قائمة على تجارب مماثلة لما يواجهه من إشكالات معاصرة، ومن هنا فإن تجاهل هذه السوابق في معالجة القضايا السياسية، والاجتماعية المعقدة يعد خطأ جسيماً؛ لأن للتاريخ دوراً حيوياً في صياغة تسويات راسخة، ومستدامة، فالمشاكل الكبرى التي يعيشها الإنسان المعاصر لها امتدادات تاريخية لا يمكن إغفالها في أي تحليل، أو قرار مستنير.

فتعد الحروب الصليبية واحدة من أبرز الظواهر التاريخية التي شّلت منعطفاً حاسماً في تاريخ العلاقات بين الشرق الإسلامي، والغرب المسيحي خلال العصور الوسطى، فقد مثلت هذه الحملات على اختلاف مراحلها صراعاً مركباً ذي أبعاد دينية، وسياسية، واقتصادية، وثقافية، وهو ما ساهم في إعادة تشكيل الخريطة الجيوسياسية للمنطقة لعدة قرون، وتأتي الحملة الصليبية الأولى (٤٨٩- ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٦-١٠٩٩م) في طليعة هذه الأحداث من حيث الأهمية؛ نظراً لكونها أول احتكاك عسكري واسع النطاق بين القوى الغربية المسيحية، والعالم الإسلامي في الشرق الأدنى، وقد أدت إلى سقوط مدينة القدس في يد الصليبيين عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، وتأسيس عدد من الكيلنات اللاتينية في المشـــرق، مثل: مملكة بيت المقدس، وإمارة أنطاكية، مما جعلها بداية فعلية لعصر طويل من المواجهات السياسية، والعسكرية المتواصلة.

ولم تقتصـــر أهمية هذه الحملة على آثارها المباشـــرة؛ بل تعدت ذلك إلى ما أحدثته من تحولات فكرية، وثقافية عميقة في كلا العالمين، فقد ساهمت في تعميق الصور النمطية المتبادلة، ووسعت من دائرة الآخر في الوعي الجمعي لكل طرف، كما أنها فتحت الباب لتبادل غير مباشر للمعرفة، والاحتكاك الحضاري رغم طغيان الطابع العدائي، ومن هنا فإن فهم الحملة الصليبية الأولى يُعد مدخلًا أساسيًا لفهم الخلفيات التاريخية لصراعات لاحقة سواء في بعدها الديني، أو الجغرافي، أو الثقافي.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد – مجلة علمية محكمة إبريل ٢٠٢٤

السياق التاريخي والسياسي للحملة الصليبية الأولى:

شهد القرن الحادي عشر الميلادي تحولات عميقة في المشهد السياسي، والديني في كلٍ من أوروبا، والعالم الإسلامي، فبينما كانت أوروبا تخرج تدريجياً من عصور الظلام، وتسعى الكنيسة إلى تثبيت هيمنتها كان العالم الإسلامي يعيش حالة من الانقسام، والتراجع السياسي رغم ازدهاره العلمي، والثقافي، مما مهّد لاندلاع أولى الحملات الصليبية.

ولقد نجحت الحملة الصليبية الأولى (٤٨٩- ٤٩٢ ه /١٠٩٦-١٠٩٩م) في السيطرة على القدس [١]، وكانت الحملة الوحيدة من بين تسع حملات صليبية كبرى التي حققت هدفها المعلن؛ أما الحملات التي تلتها، فقد فشلت في تحقيق هذا الهدف؛ بل إن الحملة الصليبية الرابعة التي كان من المفترض أن تتوجّه نحو القدس انتهت بنهب موارد الإمبراطورية البيزنطية، وتأسيس الإمبراطورية اللاتينية في عاصمتها القسطنطينية [٢]، مما أدى إلى إضعاف الإمبراطورية البيزنطية التي كانت أصلًا تواجه ضغطًا كبيراً من القبائل التركية بقيادة البيكات[٣] (Beys) التابعين لـ دولة السلاجقة [٤].

---

[1] Yusuf Toyloglu, To Understand the Crusades - The First Crusade: Political, Economic, and Religious Dynamics Behind the Conquest of Jerusalem, Sapienza Università di Roma – Istanbul University – Erasmus Exchange Student, 2022.

[٢] **القسطنطينية:** هي عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، وقد تأسست على يد الإمبراطور قسطنطين الأول عام ٣٣٠ ميلادية، وكانت تتمتع بموقع استراتيجي بين أوروبا وآسيا؛ مما جعلها مركزاً هاماً للسياسة، والثقافة، والتجارة، والمسيحية، وظلت القسطنطينية عاصمة للإمبراطورية حتى سقطت بيد الدولة العثمانية عام ١٤٥٣م؛ ليُعاد تسميتها بعد ذلك بـ إسطنبول (İstanbul – إسطنبول)، أنظر: عماد البحراني، فتح القسطنطينية في عهد السلطان محمد الفاتح ١٤٥٣م، دورية كان التاريخية: المستقبل الرقمي للدراسات التاريخية، العدد الثالث، ٢٠٠٩، ص ١١٦.

[٣] **لقب "بك"**: تم استخدام هذا اللقب في الدولة العثمانية، وغيرها من الدول التركية للإشارة إلى قائد، أو حاكم، أو حاكم منطقة، أو مقاطعة، وهو مصطلح يدل على الاحترام والسلطة، ويُستخدم غالبًا للإشارة إلى القادة العسكريين، أو الحكام المحليين، كما استخدمه زعماء القبائل، والنبلاء في أنحاء مختلفة من الشرق الأوسط، وشمال إفريقيا، وآسيا الوسطي، أنظر: Yusuf Toyloglu, op. cit. p5

[٤] **السلاجقة:** هي دولة تركية من العصور الوسطى أسسها السلاجقة الأتراك في القرن الحادي عشر، وامتدت سيطرتها إلى أجزاء من آسيا الوسطى والشرق الأوسط والأناضول، ولعب السلاجقة دوراً حاسماً في نشر الإسلام، والدفاع عن الخلافة العباسية، وأسسوا إمبراطورية السلاجقة الكبرى، ثم سلطنة الروم في الأناضول بعد معركة ملاذكرد عام ١٠٧١، وتشتهر سلالة السلاجقة بإنجازاتها الثقافية، بما في ذلك تطوير العمارة الإسلامية، ونشر الثقافة الفارسية، أنظر: على محمد الصلابي، دولة السلاجقة الصلابي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٢٠.

خريطة (١)

المصـــدر: Yusuf Toyloglu, To Understand the Crusades - The First Crusade: Political, Economic, and Religious Dynamics Behind the Conquest of Jerusalem, Sapienza Università di Roma – Istanbul University – Erasmus Exchange Student, 2022

"تظهر الخريطة التوزيع الجغرافي، والسـياسـي لمنطقة الشـرق الأوسـط منذ انطلاق الحملة الصـليبية الأولى سـنة ١٠٩٥؛ حيث تبرز سـيطرة الدولة السـلجوقية على مسـاحات واسـعة من الأناضـول، وبلاد الشـام، والعراق، بالإضـافة إلى وجود الخلافة العباسـية في بغداد، والخلافة الفاطمية في مصر، كما توضح الخريطة موقع الإمبراطورية البيزنطية، والمناطق التابعة لها".

كانت الإمبراطورية البيزنطية آنذاك منهكة، ومفككة، وغيرقادرة على إيقاف توسـع الإمارات التركية (البيليك) [٥]، والتي ظهرت بعد معركة ملاذكرد (٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) [٦]؛ حيث قاتلت القبائل التركية بقيادة السـلطان ألب أرسـلان جيش الإمبراطورية البيزنطية، وانتصـروا عليه

[٥] **البيليكات التركية:** هي إمارات، أو دويلات صغيرة شبه مستقلة أسسها حكام أتراك في الأناضول عقب انهيار الإمبراطورية السلجوقية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، وقاد هذه البيليكات البايات (حكام محليون)، ولعبت دوراً هاماً في تأسيس الإمبراطورية العثمانية، وأبرز هذه البيليكات (البيليكات العثمانية) التي تطورت فيما بعد لتصبح الإمبراطورية العثمانية، ومن بين البيليكات البارزة الأخرى: الدانشمنديون، والكرميانيون، والقرمانيون، أنظر: على محمد الصلابي، دولة السلاجقة الصلابي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٢٥.

[٦] **معركة ملاذكرد:** هي معركة حاسمة حدثت عام ١٠٧١ بين الإمبراطورية البيزنطية، والأتراك السلاجقة، وهزم السلاجقة بقيادة السلطان ألب أرسلان الجيش البيزنطي؛ مما أدى إلى أسر الإمبراطور رومانوس الرابع، ومكّن هذا النصر السلاجقة من بدء غزوهم للأناضول، أنظر: فايز نجيب إسكندر، البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد في مصنف نقفور بريينيوس، مكتبتي، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، ص ١٠.

انتصاراً ساحقًا، وكانت الجيوش الإسلامية التركية آنذاك مكونة من فرسان بدوٍ خفيفي التدريع، وبارعين في الرماية على ظهور الخيل، ويحملون أيديولوجية الجهاد (الغَزُو) الديني(٧).

علاوة على ذلك، فإن أسلوب القتال المرن، وأسلوب حرب العصابات الذي استخدمه الأتراك وضع ضغوطًا كبيرة على الجيش البيزنطي الذي كان ضعيفًا أساسًا، ومن هنا جاءت الحملة الصليبية الأولى استجابةً لدعوة البابا أوربان الثاني عن انطلاق الحملة الصليبية الأولى خلال مجمع كليرمونت في فرنسا عام ٤٨٨ه /١٠٩٥م؛ حيث خاطب الحشود بخطاب حماسي دعا فيه المسيحيين إلى استعادة الأراضي المقدسة، وذلك استجابةً لنداءات الاستغاثة من الإمبراطورية البيزنطية لمساعدتها في مواجهة السلاجقة الأتراك الذين هزموها في معركة ملاذكرد، والتي وقعت في سهل ملاذكرد شرقي الأناضول(٨)؛ حيث تعرضت بيزنطة لهزيمة قاسية، وأُسر الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجينيس على يد السلطان ألب أرسلان (٩).

لكن من وجهة نظر البلبا، لم تكن الحملة الأولى فقط لإنقاذ الإمبراطورية البيزنطية؛بل كما يشير الباحث توماس مادين كانت دعوة البابا للحروب الصليبية خطوة سياسية ذكية تهدف إلى توحيد المسيحية الغربية تحت قضية مشتركة، وتعزيز النفوذ البابوي على الحكام الأوروبيين.

وقد بدأت الحملة الصليبية الأولى في ظل فترة من التفكك، وعدم الاستقرار السياسي في كل من الشرق الأوسط، والإمبراطورية البيزنطية، كما أن فهم الديناميكيات السياسية داخل الإمبراطورية البيزنطية، والقوى الإسلامية الكبرى آنذاك العباسيين، والفاطميين، والسلاجقة في عام ٤٨٨ه/ ١٠٩٥م يُعد أمراً بالغ الأهمية لفهم تاريخ الحملات الصليبية، ففي الفترة الأولى من الحملات لم يكن العالم الإسلامي موحّداً سياسيًا؛ بل كان يواجه صراعات داخلية، ومشاكل تتعلق بالاستقلال للذاتي، وصراعاً على السلطة،ما عدا طبقة العلماء(ʿulamāʾ) (١٠) التي كلنت على وعي

---

(٧) **الجهاد الغَزُو:** في سياق المسلمين الأتراك، والعرب تشير غزة إلى مفهوم "الجهاد"، أو "الجهاد" في سبيل الله، والذي غالبًا ما يرتبط بالحملات العسكرية للدفاع عن المجتمع الإسلامي، أو توسيعه، وتؤكد على فكرة السعي لتحقيق العدالة ونشر الإسلام؛ لاسيما في سياق الفتوحات الإسلامية المبكرة، ويرتبط المصطلح بالجهود الروحية، والبدنية المبذولة في خدمة الإسلام، أنظر: Yusuf Toyloglu, op. cit, p6.

(٨) **سهل ملاذكرت:** هو سهل في شرق تركيا شهد معركة ملاذكرد عام ٤٦٣ه/ ١٠٧١م، فهي منطقة مسطحة مفتوحة لعبت دوراً رئيسيًا في انتصار السلاجقة على الإمبراطورية البيزنطية، أنظر: فايز نجيب إسكندر، البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد في مصنف نقفور برينيوس، مكتبتي، الطبعة الأولي، ١٩٨٤م، ص ١١.

(٩) حسن عبد الزهرة كيطان الإبراهيمي، جهود السلاجقة في مقاومة الحملة الصليبية الأولي، رماح للبحوث والدراسات، العراق، العدد ٢، ٢٠٢١م، ص ٢٨٦.

(١٠) **ʿulamāʾ**: العلماء هم طبقة من العلماء، والفقهاء، والمتعلمين في العالم الإسلامي متخصصون في المعرفة الدينية، والشريعة الإسلامية، ويلعبون دوراً حاسماً في تفسير التعاليم الإسلامية، والحفاظ عليها، وإرشاد المجتمع المسلم في الشؤون الروحية، والقانونية، والاجتماعية، أنظر: Yusuf Toyloglu, op. cit, p6.

بالمخاطر، وحاولت لفت انتباه القادة، والمجتمع إلى ضرورة توحيد الصف الإسلامي في مواجهة الحملات الصليبية.

بالإضـــافة إلى ذلك، كان هناك دولتان تدعيان الخلافة، وتمثيل الإســـلام، وهما: الدولة العباســية، والدولة للفاطمية، ولهذا لا ينبغي أن يفترض وجود قوة إســـــلامية موحدة تواجه قوى صـــــليبية موحدة، كما عبر المؤرخ ابن الأثير بقوله: "تفرق السلاطين وتقاتلوا، فاستقر الصليبيون في بلاد الإسلام" (١١).

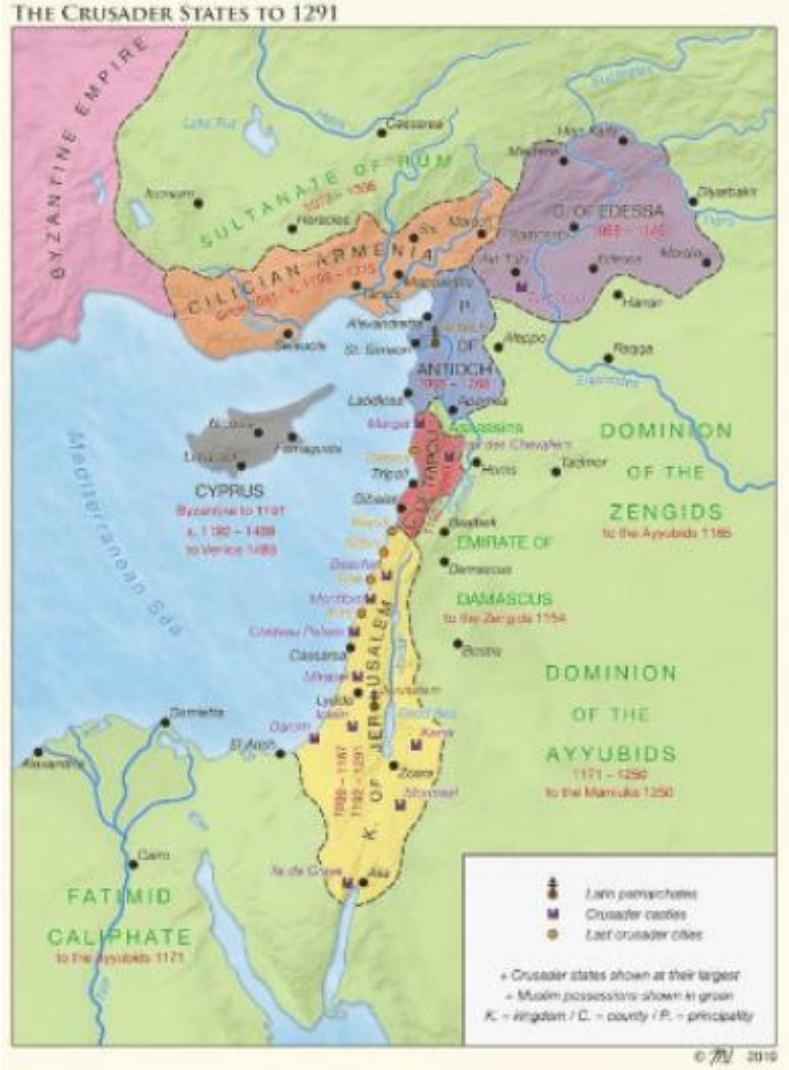

خريطة (٢)

المصـــدر: Yusuf Toyloglu, To Understand the Crusades - The First Crusade: Political, Economic, and Religious Dynamics Behind the Conquest of Jerusalem, Sapienza Università di Roma – Istanbul University – Erasmus Exchange Student, 2022

(١١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٩٨٧، ج ١٠، ص ٢٣٦.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد – مجلة علمية محكمة إبريل ٢٠٢٤

"تعرض هذه الخريطة تطور خريطة الشرق الأدنى حتى سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، وتبرز مناطق نفوذ للدول الصليبية، مثل: مملكة للقدس، ولإمارة أنطاكية، وكونتية طرابلس، هذا إلى جانب القوى الإسلامية المعاصرة، مثل: الدولة الأيوبية، ودولة الزنكيين، كما توضح الخريطة التراجع التدريجي للوجود الصليبي، وانحساره مع نهاية القرن الثالث عشر؛ مما يعكس التحولات العسكرية، والسياسية خلال الحملات الصليبية".

لقد تعاونت هذه القوى الإسلامية أحيانًا، وفي أوقات أخرى تقاتلت، أو تجاهلت الخطر للقادم، وكان العامل الحاسم في نتيجة تلك الصراعات ليس التفوق العسكري الغربي على الشرقي، أو العكس من حيث العدد، أو أساليب القتال؛ بل كانت الديناميكيات السياسية الداخلية في كلا الجانبين هي الفيصل؛ إذ كان الطرفان متقاربين من حيث القوة العسكرية، ولكن القدرة على التوحد، والتنسيق كانت هي العامل الحاسم في تحديد المنتصر.

وقد انعكس هذا الفهم في احتجاجات بعض القضاة (القاضي alqāḍī – والعلماء – ʿālim) عالِم) الذين كانوا شهود عيان على الأحداث، وحاولوا إيقاظ الأمة الإسلامية من خلال التعبير عن معارضتهم القوية للوضع القائم؛ سواء في الأماكن العامة، أو داخل القصور.

نتيجة لذلك، قلل العالم الإسلامي من شأن الحملة الصليبية الأولى؛ إذ اعتقد أنها ستكون شبيهة بالغزوات الغربية السابقة من حيث العدد الضعيف، وسهولة التصدي لها، لكن ورغم الخسائر الكبيرة التي تكبدها الصليبيون، فإن القوى الإقطاعية الغربية تمكنت من السيطرة على مدن مهمة في الشرق الأوسط، مثل: أنطاكية[١٢]، وطرابلس [١٣]، والرها (إديسا) [١٤]، والقدس.

كما أنشأ الصليبيون فرسان الهيكل (Knights Templar)، وهم منظمة عسكرية مسيحية قوية في العصور الوسطى كان لها دور محوري في حماية الحجاج، وتمويل الحملات الصليبية،

---

[١٢] **أنطاكية، هاتاي حاليًا:** مدينة عريقة تقع في تركيا الحديثة، ولها أهمية تاريخية؛ كإحدى المراكز الرئيسية للمسيحية المبكرة، ومدينة محورية في الإمبراطوريتين الرومانية والبيزنطية، وكانت عاصمة الإمبراطورية السلوقية، وأصبحت لاحقًا مركزًا تجاريًا وثقافيًا هامًا، كما شهدت أنطاكية صراعات خلال الحروب الصليبية، وتُعرف بكونها موقع حصار الحملة الصليبية الأولى لأنطاكية عام ٤٩١هـ / ١٠٩٨م، أنظر أمين نصر، حصار أنطاكية العظيم ٤٨٩-٤٩٠هـ/ ١٠٩٧-١٠٩٨م، موسوعة التاريخ العالمي، ٢٠٢١م، ص ١٠٤.

[١٣] **طرابلس:** مدينة تاريخية في لبنان كانت سابقًا عاصمة إمارة طرابلس الصليبية، واستُولي عليها عام ١١٠٩، وتشتهر بهندستها المعمارية التي تعود إلى العصور الوسطى، وميناؤها المتوسطي، كما توجد مدينة أخرى في ليبيا تُدعى طرابلس، أنظر: نهدي صبحي الحمصي، تاريخ طرابلس من خلال وثائق المحكمة الشرعية في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، دار الإيمان، ٢٠١٥م، ص ٢٨.

[١٤] **الرها (أورفا):** مدينة قديمة تقع في شانلي أورفا حاليًا (تركيا) كانت مركزًا هامًا خلال الحروب الصليبية، واشتهرت بكونها عاصمة مقاطعة الرها، أول دولة صليبية تأسست عام ٤٩٠هـ/ ١٠٩٨م، واستولى عليها المسلمون عام ١١٤٤م؛ مما مثّل خسارة فادحة للصليبيين، أنظر: Yusuf Toyloglu, op. cit, p 8.

وإدارة الثروات والأراضي حتى أصبحوا مصرفيين مؤثرين جداً قبل أن تُحلّ جماعتهم في القرن الرابع عشر.

وقد تكونت الحملة من نوعين من الجيوش [١٥]:

١- **حملة الشعوب (٤٨٨ه/ ١٠٩٦م):**

وهي مجموعة ضعيفة التنظيم من الفلاحين، والفرسان من الطبقات الدنيا قادها أشخاص، مثل: بيتر الناسك، ووالتر بلا أرض، وافتقرت هذه الحملة إلى الانضباط، والإمدادات؛ مما أدى إلى أعمال نهب ومجازر، بما في ذلك الاعتداءات على المجتمعات اليهودية في الراينلاند، وقد تم إبادة معظم هذه القوات على يد الأتراك في الأناضول.

٢- **الجيوش الصليبية الرسمية (٤٨٩-٤٨٨ه/ ١٠٩٦-١٠٩٧م):**

كانت جيوشاً منظمة، ومجهزة جيداً بقيادة نبلاء بارزين من بينهم جودفري دي بويون، وريموند من تولوز، وبوهيموند من تارانتو، وهيو من فرماندوا، وقد عبرت هذه الجيوش أراضي الإمبراطورية البيزنطية بعد أداء قسم الولاء للإمبراطور ألكسيوس الأول كومنينوس، وتعهدت بإعادة الأراضي المحررة إلى السيطرة البيزنطية، كما ساهمت الضغوط السكانية في أوروبا، ووجود عدد كبير من النبلاء، والشباب من دون ملكيات، أو فرص للصعود الاجتماعي في دفع أعداد كبيرة للمشاركة في الحملة، فكانت الحروب الصليبية فرصة لتحقيق المجد، والمكاسب المادية، والاجتماعية [١٦].

ولقد حققت هذه الحملة انتصارات كبيرة، مثل: حصار نيقية (٤٨٩ه/ ١٠٩٧م) [١٧]، ومعركة دوريليوم (٤٨٩ه/ ١٠٩٧م)، وهذه الانتصارات أمنت طريقهم عبر الأناضول، ومن ثم فإن التنظيم الاستراتيجي المنتظم، والفعال للجيوش الرسمية الصليبية مكنهم من الاستفادة من عدم توحد الجيوش الإسلامية آنذاك؛ مما ساعدهم على تحقيق مكاسبهم العسكرية، والسياسية في المشرق.

---

(15) Muhammad Imtiyaz Ahmed, The First Crusade, university of oxford, February 2024, P15.

(١٦) محمد إبراهيم محمد خلف، صيحة الحرب لصليبي الحلمة الأولي، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، العدد الثالث، ٢٠١٧م، ص ١٢١.

(١٧) حدث رئيسي خلال الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٧م / ٤٨٩ه، فحاصر الصليبيون مدينة نيقية (إزنيك حالياً، تركيا) التي كانت تحت سيطرة السلاجقة الأتراك، وبعد حصار طويل، استسلمت المدينة للصليبيين بمساعدة الإمبراطورية البيزنطية؛ مُمثلةً انتصاراً هاماً للقوات الصليبية، أنظر: عباس عبد الستار عبد القادر، نيقية عاصمة سلاجقة الروم الأولى (٤٧١ – ٤٩٠ ه / ١٠٧٨ –١٠٩٧م)، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد ٦١، العدد ٤، ٢٠٢٢م، ص ٣٨١.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد – مجلة علمية محكمة إبريل ٢٠٢٤

المؤرخون المسلمون والغربيون – التصورات والروايات:

أفرزت الحملة الصليبية الأولى (٤٩١-٤٨٨هـ/ ١٠٩٦-١٠٩٩م) نتاجًا أدبيًا، وتاريخيًا ثريًا شكل مادة علمية قيمة ساعدت في توثيق تفاصيل دقيقة حول العلاقات بين الصليبيين أنفسهم، وكذلك بين الصليبيين والبيزنطيين، وعلى الرغم من شح المؤرخين المعاصرين في الجانبين البيزنطي، والإسلامي؛ إلا أن اثنين برزا في هذا السياق، هما: الأميرة البيزنطية آنا كومنين التي ألفت كتاب "الألكسياد"، وابن القلانسي رئيس ديوان الإنشاء في دمشق، وصاحب كتاب "ذيل تاريخ دمشق"، رغم أن الأخير لم يتوسع في وصف أنشطة الفرنج في المدن الإسلامية، وقد عوض هذا النقص لاحقًا مؤرخون، مثل: ابن الأثير في "الكامل في للتاريخ"، وابن العديم في "زبدة الحلب في تاريخ حلب" (١٨).

١- **المؤرخون الغربيون:**

إن من أبرز المؤلفات الغربية التي وثقت الحملة كتاب "أعمال الفرنجة وفتح القدس " (Gesta Francorum et Aliorum Hierosolimitanorum)؛ إذ يُعد أول مؤلف تاريخي يكتب بقلم علماني منذ مؤلفات "إينهارد" في القرن التاسع، وينسب هذا الكتاب إلى مؤلف مجهول الهوية؛ إلا أنه تميز بأسلوبه المباشر، وتوثيقه الشامل لأحداث الحملة الصليبية الأولى؛ مما أكسبه شهرة واسعة؛ كمصدر أساسي للحملة بين عامي ٤٨٧-٤٩٢هـ/ ١٠٩٥ و١٠٩٩م من انطلاق الحملة في الغرب، وحتى السيطرة على القدس، وتأسيس الإمارات اللاتينية في الشرق.

ورغم الانتقادات التي وجهها بعض الكُتاب الكنسيين إلى أسلوبه "الفج" أعيدت صياغة الكتاب لاحقًا بلغة أكثر تهذيبًا يتميز الكتاب بقيمة خاصة؛ إذ إن مؤلفه كان شاهد عيان شارك في المعارك، وربما كان من فرسان النورمان في جنوب إيطاليا، ورافق للقائد بوهيمند خلال معظم مراحل الحملة.

ولا يعرف الكثير عن حياة المؤلف لكن يرجح أنه انضم للحملة سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٦م، وشارك في المعارك ضد كربوغا أمير الموصل في أنطاكية، وكان من المشاركين في الهجوم على المعرة، وطرابلس صيف عام ٤٩١هـ / ١٠٩٨م، وتنتهي إشاراته المعروفة عند تلك المرحلة، وهو ما يحد من تفاصيل سيرته الذاتية، ويبدأ كتابه بتوثيق مجمع كليرمون في نوفمبر ١٠٩٥م (٤٨٩هـ)، ويختمه بمعركة عسقلان ضد القوات الفاطمية المصرية في

(١٨) هوليا عزيز توفيق، الحملة الصليبية الأولى في كتابات المؤرخين اللاتين المعاصرين (٤٩٢-٤٨٩هـ /١٠٩٦-١٠٩٩م)، مجلة الجامعة العراقية، العدد ٥٩، ٢٠٢٣م، ج٣، ص ١٣٥.

أغسطس ١٠٩٩م (٤٩٢ه)، وقد قسّمه إلى عشرة فصول، أو كتب فرعية تناولت بالتفصيل مراحل الحملة الصليبية الأولى، ويُعد مؤلف هذا الكتاب أحد شهود العيان للحملة، ويعتقد أنه ينحدر من عائلة نورمانية استقرت في جزيرة صقلية بعد أن استولى عليها النورمان؛ التحق بالحملة التي قادها بوهيمند النورماني وتنكرد، ودون تجربته الشخصية؛ بدءاً من انطلاق الحملة؛ مروراً بسقوط بيت المقدس، وانتهاءً بمعركة عسقلان في عام ١٠٩٩م / ٤٩٢ه، وهي آخر الأحداث التي سجلها، وربما توفي بعدها مباشرة.

ويكشف الكتاب عن رؤية المؤلف كجندي عادي دون رتبة قيادية ما يعكس أسلوباً بسيطًا، ومباشراً خالٍ من المقدمات التقليدية التي اعتادها مؤرخو القرون الوسطى، وتكمن قيمة هذا العمل في كونه كتبه علماني خاض المعارك بنفسه فامتاز وصفه بالصدق، والدقة، خاصةً فيما يتعلق بالتكتيكات العسكرية التي أدركها بوضوح بحكم مشاركته الفعلية [١٩].

ويسرد المؤلف تفاصيل دقيقة عن الحصار، والمعارك، مثل: اقتحام أسوار أنطاكية ليلًا بعد خيانة "فيروز"، والمعاناة خلال المسير الطويل؛ حيث اضطر الصليبيون إلى تحميل أمتعتهم على الماعز، والكلاب بعد نفوق دوابّهم، ووصف مشهد الفرسان وهم يركبون الثيران بدلًا من الخيول، ورغم ميوله الواضحة؛ إذ يظهر عداءً شديداً للمسلمين وكراهية للبيزنطيين؛ إلا أنه يعترف بشجاعة المقاتلين السلاجقة، ويعد هذا العمل مرآة واقعية لتجربة الصليبيين، ويمنحنا صورة نادرة عن أحوال الجند في الحملة.

كما أن هذا المصدر حاز ثقة المؤرخين حتى أن توديبود اقتبس منه على نطاق واسع، وأضاف إليه بعض المعلومات المستقاة من ريموند داجيل؛ لكن المقارنة الدقيقة بين النصوص تظهر بوضوح أن "أعمال الفرنجة" هو المرجع الأصلي، وليس العكس حسبما أكده المؤرخ بزلي.

أ- **المؤرخ فوشيه الشارتري:**

هو من مدينة شارتر الفرنسية، وُلد عام ٤٥١ه / ١٠٥٩م، ويُعد من أبرز الذين استجابوا لنداء البابا أوربان الثاني (٤٩٢-٤٨١ه / ١٠٨٧-١٠٩٩م) لخوض حرب مقدسة ضد المسلمين في مجمع كليرمون، وقد حمل كتابه بعنوان "أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس" الذي يعتبر من أدق ما دونه المؤرخون عن هذا المجمع؛ إذ كان شاهد عيان عليه [٢٠].

---

[١٩] قاسم عبده قاسم، المؤرخون في العصور الوسطي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤، ص ٢٩.

[٢٠] نبيل محسن خلف الركابي، فوشيه الشارتري مؤرخاً للحملة الصليبية الأولى ومملكة بيت المقدس، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٩م، ص ٤٢.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد – مجلة علمية محكمة إبريل ٢٠٢٤

رافق فوشيه في رحلته روبرت أمير نورماندي، وستيفن أمير شارتر، وبلوا، وكان في البداية القسيس الخاص بستيفن، ثم انتقل للعمل في خدمة بلدوين الأول الذي حكم أمارة الرها الصليبية بين عامي٤٩٠- ٤٩٢ه / ١٠٩٨ و١١٠٠م قبل أن يصبح أول ملك صليبي يحكم للقدس من ١١٠٠ إلى ١١١٨م، ولقام فوشيه في مملكة بيت المقدس الصليبية ما يقارب الثلاثين عاماً من نهاية سنة ٤٩٢ه / ١١٠٠م، وحتى ٥٢١ه / ١١٢٧م، وهي الفترة التي اختفى بعدها من السجلات التاريخية.

وظل فوشيه مقرباً، ومرافقًا لملك بلدوين الأول، وعاصر حكم بلدوين الثاني، ولا تزال تفاصيل وفاته غير واضحة؛ لكن من المرجح أنه توفي جراء وباء الطاعون الذي اجتاح القدس، وهو آخر خبر سجل في مدونته، وتعتبر معلومات فوشيه عن وصول الحملة الصليبية إلى مدينة الرها[٢١] دقيقة، وذات أهمية كبيرة؛ سواء من حيث الوقائع، أو الاتجاه العام للأحداث، ويبرز بشكل خاص تقريره عن رحلته إلى إيطاليا، واليونان؛ حيث سرد سير الحملة؛ بدءاً من دوبليوم، وهو وصف غني، وممتع بفضل قدراته العالية في الوصف، كما تُعد روايته عن الأحداث التي وقعت في الرها حاسمة وقاطعة، وهو الشاهد العيني الوحيد لهذه الأحداث، وتتوافق مع ما ذكره المؤرخ متى الرهاوي الذي يعتبر ثاني أفضل مصدر بعد فوشيه.

ولقد ركز فوشيه في كتاباته على الأحداث النظامية للحملة الصليبية الأولى، ولم يتناول باختصار سوى الحملة الشعبية التي سبقتها، كما وصف مسير الحملة التي انطلقت من فرنسا عبر أوروبا إلى القسطنطينية، وأوضح تعاطي الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين مع أمراء الحملة، ثم نقلهم إلى الضفة المقابلة للقسطنطينية، وما تلا ذلك من حصار مدينة نيقية، واحتلالها، بالإضافة إلى احتلال الرها، وأنطاكية، وبيت المقدس، وتأسيس مملكة بيت المقدس الصليبية بعد تنصيب جودفري [٢٢]ملكًا عليها.

---

[٢١] **مدينة الرها:** هي مدينة في الجزيرة بين الموصل والشام بناها الملك سلوقس تدعي بالرومية (الأوديسا)، أنظر: علية عبد السميع الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، ص ٢٤.

[٢٢] **جودفري:** ولد عام ١٠٦٠م – ٤٥٢ه، وهو الابن الثاني للكونت اوسشتاش الثاني البويوني الذي ينتمي من خلاله (من جهة والدته) إلى السلالة الكارلونجية، وكان ولاءه الأوروبي للإمبراطور هنري الرابع، ولقد كان طويل القامة أشقر الوجه ذا لحية صفراء، وهي الصورة المثالية للمحارب الشمالي، وكان من خلال الحملة رحيماً ورعا معطاء مفعماً بالدثامة، والتواضع، وربما كانت هذه الصفات هي من أهلته على حساب غيره لتولي الحكم في القدس غير أنه لم يكن جندياً ممتازاً، وبعد اجتيازه المجر وشبه الجزيرة الباقلانية، وعند اجتيازه هنغاريا التي عمها السخط جراء أفعال الحملة الشعبية اتصل بملكها للسماح لجيشه بمتابعه طريقة دون حادثة تذكر؛ ليصل إلى القسطنطينية في أواخر ديسمبر ١٠٩٦م – ٤٨٨ه، أنظر: سرور علي عبد المنعم علي، جودفري دي بويون حاكماً للكيان

ولقد دون فوشيه أيضًا الأحداث التي رافقت حكم بلدوين الأول الذي كان مرافقًا له، وحكم بلدوين الثاني، واتسمت كتاباته -كما هو الحال مع معظم المؤرخين اللاتينيين الذين كتبوا عن الحروب الصليبية عامة والحملة الأولى خاصة- بعدم الاحتكاك المباشر الكافي بالمسلمين؛ مما جعلهم ينظرون إليهم بتعصب، ونعتهم بأقسى الأوصاف، كما تخللت كتاباته رؤى، وأحلامًا، وتفسيرات غيبية؛ حيث عزا كل نصر، أو هزيمة إلى عناية الله، وعقابه.

لكن ما يميز فوشيه عن غيره من المؤرخين هو تطرقه للتغيرات التي طرأت على المجتمع الصليبي، ومدى تأثرهم بالمحيط العربي الإسلامي، فهو مؤلف نادر كتب من منظور مستوطن فرنسي محلي يغطي الفترة الطويلة التي أعقبت الحملة الصليبية الأولى؛ مما يجعله مصدرًا فريدًا لفهم التحولات الاجتماعية، والثقافية في مملكة بيت المقدس.

ب- **وليم الصوري:**

ولد وليم الصوري في مدينة بيت المقدس عام ٥٢٤هـ / ١١٣٠م، وقد قضى نحو عشرين عامًا (من ٥٤٠ حتى ٥٦٠هـ / ١١٤٥ - ١١٦٥م) متنقلًا بين مدن أوروبا طلبًا للعلم، وخلال هذه الفترة درس الفلسفة، والرياضيات، والقانون؛ مما منحه خلفية علمية واسعة، وفي عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م عاد إلى الشرق؛ حيث تقلد عدة مناصب دينية كان آخرها رئاسة أساقفة صور بين عامي ٥٧١ - ٥٨٠هـ / ١١٧٥ - ١١٨٤م [٢٣].

عمل وليم مستشارًا لمملكة بيت المقدس الصليبية منذ ٥٧٠هـ / ١١٧٤م، هذا إلى جانب رئاسته لأساقفة صور، مما أضاف إلى مصادر معلوماته الغنية التي ساعدته في تأليف مؤلفه التاريخي المهم، وتكمن أهمية كتاب وليم الصوري في تغطيته حقبة طويلة من تاريخ الصليبيين امتدت حتى سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م؛ إذ كان معاصرًا للعديد من الحروب الصليبية، وشاهدًا عيانًا على أحداثها.

الصليبي في بلاد الشام ١٠٩٩-١١٠٠م / ٤٩٣-٤٩٤هـ، مجلة بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، ع ١٤، مصر، ٢٠٠٤م، ص ٨٥.

[٢٣] عبد العظيم رمضان، مقدمته على تاريخ وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٦.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد – مجلة علمية محكمة إبريل ٢٠٢٤

ويعتبر وليم الصوري بحسب بعض المؤرخين الأوروبيين واحداً من أعظم مؤرخي العصور الوسطى، وقد أتيحت له أدوات الكتابة التاريخية التي لم تتوفر لغيره، فإلى جانب إتقانه اللغات اللاتينية، والفرنسية، واليونانية، وإلمامه بالعربية كان لديه في متناوله وثائق، ومصادر متعددة جعلته حجة في عصره، فقد شغل مناصب بارزة من ضمنها الإشراف على ديوان الرسائل في بلاط مملكة بيت المقدس، كما كان سفيراً لعموري الأول ملك بيت المقدس لدى الإمبراطور البيزنطي إيمانويل كومنينوس (٥١١ – ٥٧٦هـ / ١١١٨ – ١١٨٠م)، وكذلك تدرج في المناصب الدينية، حتى بلغ ذروته برئاسة أساقفة صور، وهي من أعلى المناصب الدينية في الدولة بعد الملك.

ورغم تأخره عن أحداث الحملة الصليبية الأولى؛ إلا أنه اعتمد في كتابه على نصوص، ومؤلفات لم تذكرها المصادر اللاتينية التي دونت تلك الحملة، مثل: مؤلفات ألبرت أليكسي (كتاب "الحملة المسيحية لاسترداد بيت المقدس")، و"كتاب أعمال الفرنجة"؛ إلى جانب مؤلفات فوشيه الشارتري، كما استند في بعض أجزاء كتابه إلى الروليات الشفوية، والكتابات الأثرية على المباني، والوثائق الملكية، والرسائل المتبادلة بين الغرب، والشرق [٢٤].

عنوان كتابه هو "تاريخ الأعمال التي تمت فيما وراء البحار"، وهو مؤلف أدبي كتبه أحد كبار الأساقفة بلغة المثقفين، وقد وضعه بتكليف من الملك عموري الأول ليكون سجلًا للأعمال التي قام بها هذا الملك؛ مما يزيد من قيمة الكتاب كمصدر تاريخي، ويعد هذا الكتاب نموذجاً متقدماً لنمط الكتابة للتاريخية في عصره، ويمثل ركيزة أساسية لفهم تاريخ الصليبيين في تلك الحقبة.

ولقد نشأ وليم في أسرة استوطنت فلسطين، وقضى عشرين عاماً من حياته في طلب العلم في فرنسا، وإيطاليا (٥٤٠– ٥٦٠هـ/ ١١٦٥–١١٤٥م)؛ حيث تلقى تعليمه على يد أفضل أساتذة الفنون الحرة، والفلسفة، واللاهوت، والقانون الكنسي والمدني، وعند عودته إلى المملكة اللاتينية بفلسطين حصل على أول ترقية له؛ كقسيس في كاتدرائية صور، ولاحقًا أصبح محل ثقة الملك أمالريك (عموري الأول) الذي عينه مستشاراً له، وكان مكلفًا حتى بتربية ابنه.

[٢٤] هوليا عزيز توفيق، الحملة الصليبية الأولى في كتابات المؤرخين اللاتين المعاصرين (٤٩٢–٤٨٩هـ /١٠٩٦–١٠٩٩م)، مرجع سابق، ص ١٣٦.

وشارك وليم في بعثات دبلوماسية إلى روما، وبيزنطة، وبالرغم من حضوره القوي فقد خسر مكانته بعد وفاة أمالريك عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م؛ إذ لم يعين بطريركًا لبيت المقدس، وهو المنصب الذي كان يرغب فيه بشدة، وعاد إلى صور عام ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م دون تحقيق هذه الأمنية، وتوفي وليم الصوري سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٥م.

ومن منظور المؤرخ ستيفن رنسيمان يعد وليم الصوري أعظم مؤرخي الحروب الصليبية، وكان لديه تنبؤات دقيقة بمستقبل القدس، والصراع مع صلاح الدين الأيوبي، والتي تحققت بعد وفلته، وقد نُقل كتاب وليم الصوري إلى الغرب عن طريق المؤرخ ماثيو الباريسي الذي أشار في حواشي مخطوطته "التاريخ الكبير" إلى أن النسخة وصلت إلى الأرض المقدسة عن طريق بطرس أسقف ونشستر عام ٦٢٨هـ / ١٢٣١م.

ج- **<u>توديبود وكتابه "تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس":</u>**

يعد المؤرخ توديبود أحد أوائل من تناولوا الحملة الصليبية الأولى في كتابه الموسوم بـ "تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس"، والذي يغطي الفترة من٤٨٨هـ / ١٠٩٥م حتى ٤٨٨هـ / ١٠٩٩م، واعتمد توديبود بشكل شبه كامل على كتاب مجهول المؤلف بعنوان "أعمال الفرنجة" مع إدخال بعض الإضافات المحدودة التي يعتقد أنها مأخوذة من ريموند داجيل، أو من مصادر أخرى غير محددة، وقد وضع هذا العمل على الأرجح بين عامي ٤٩٥-٥٠٤هـ/ ١١٠٢ و١١١١م.

بدأ توديبود روايته بدعوة البابا أوربان الثاني للمسيحيين الغربيين للمشاركة في الحملة، ثم انتقل إلى مراحل التحضير، وسفر الأمراء إلى القسطنطينية، واختتم عمله بمعركة عسقلان في ١٢ أغسطس ١٠٩٩م (١٤ رمضان ٤٩٢هـ) التي شهدت هزيمة القوات الفاطمية بقيادة الوزير الأفضل، ورغم قيمة التوثيق؛ إلا أن تشابه محتواه مع أعمال الفرنجة، وندرة الإضافات الأصلية جعلاه عملًا ثانويًا يفتقر إلى الاستقلالية، أو القيمة التحليلية الخاصة.

د- **<u>آنا كومنينا وكتاب "الألكسياد":</u>**

تُعد الأميرة البيزنطية آنا كومنينا (٤٧٨-٥٤٨هـ / ١٠٨٣-١١٥٣م) من أبرز الشخصيات التاريخية التي وثقت أحداث الحملة الصليبية الأولى من منظور بيزنطي خالص، وذلك لكونها ابنة الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنينوس، وزوجة أحد كبار القادة العسكريين، فقد كانت قريبة من دوائر صنع القرار، ولقد ألفت كتابًا حمل

عنوان "الألكسياد" كرسته لسيرة والدها، وقد شرعت في كتابته بعد عام ٥٢١هـ/ ١١٢٧م، وأتمته قرابة عام ٥٤٣هـ / ١١٤٨م [٢٥].

وعرف عن آنا سعة اطلاعها، ومعرفتها العميقة بالفلسفة، والأدب، والجغرافيا، فكتبت مؤلفها باليونانية، وغطت فيه أحداثًا سياسية، وعسكرية من ٤٦١هـ/ ١٠٦٩م إلى ٥١١هـ/ ١١١٨م، وبالرغم من المبالغة الواضحة في مدح والدها؛ إلا أن الألكسياد يعد وثيقة ثمينة لتاريخ بيزنطة، والحملة الصليبية الأولى؛ حيث قدمت روايات دقيقة، وصورًا حية للشخصيات المعاصرة، وعكست بدقة وجهة النظر البيزنطية تجاه الحملة الصليبية، والغرب اللاتيني.

٥- **<u>ألبرت الإخيني وكتابه "تاريخ البعثة إلى القدس":</u>**

ألبرت الإخيني، أو "ألبرت من آخن" لم يكن شاهد عيان على الحملة الصليبية الأولى؛ لكنه ألف لأحد أبرز الكتب المتعلقة بها بعنوان "تاريخ البعثة إلى للقدس"، أو "كتاب استرداد بيت المقدس"، ويتكون هذا العمل من اثني عشر جزءًا كتب ما بين ٥١٩هـ/ ١١٢٥ و٥٤٥هـ/ ١١٥٠م، ويبدأ من مجمع كليرمونت عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، حتى يتوقف فجأة عند سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م.

رغم عدم زيارته للشرق اعتمد ألبرت على روايات الجنود الصليبيين العائدين من الميدان، وكان بإمكانه الوصول إلى وثائق، ومراسلات قيمة، وركز في كتابه على حملة بطرس الناسك، ويرجح أن مصدره كان شاهدًا فعليًا عليها، كما تناول الحملة النظامية استنادًا إلى شهادات من جنود في جيش جودفري دوق لورين، وتميز كتابه بوجود رؤى، ومعجزات، كما هو شائع في الأعمال اللاتينية؛ إلا أن غزارة معلوماته جعلته مرجعًا هامًا لتاريخ الحملة الأولى، ومملكة القدس المبكرة[٢٦].

و- **<u>ريموند داجيل وكتابه "تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس":</u>**

يعد ريموند داجيل أحد أبرز المؤرخين المعاصرين للحملة الصليبية الأولى، وقد رافقها بنفسه؛ مما جعل روايته وثيقة من الدرجة الأولى، ونسب إلى سيده ريموند الرابع كونت تولوز المعروف بـ"الصنجيلي" نسبة إلى كنيسة القديس جيل (سانت

---

[٢٥] سمالي، المؤرخون في العصور الوسطي، نور حوران للدراسات والنشر والتراث، دمشق، ط١، ٢٠٢٠م، ص ٢٤.

[٢٦] هوليا عزيز توفيق، الحملة الصليبية الأولى في كتابات المؤرخين اللاتين المعاصرين (٤٩٢-٤٨٩هـ /١٠٩٦-١٠٩٩م)، مجلة الجامعة العراقية، العدد ٥٩، ٢٠٢٣، ج ٣، ص ١٣٧.

جيل)، وقد كان داجيل شماسًا في كاتدرائية لي بوي، ثم عين قسيسًا أثناء الحملة، وشهد أغلب معاركها.

ألف كتابه الشهير "تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس" بلغة لاتينية بسيطة مستعرضًا الحوادث من انطلاق الحملة عام ٤٨٨ه / ١٠٩٦م، حتى حصار عسقلان عام ٤٩٢ه / ١٠٩٩م، وقد تأثر داجيل بصديقه الفارس "بونس دي بالزون" للذي حثه على التوثيق اليومي للأحداث، وبعد وفاة بونس في معركة قرب قلعة عرقة استمر ريموند في الكتابة منفرداً.

أراد داجيل من خلال مؤلفه الرد على الشائعات التي نشرها الجنود الفارّون من القتال، وأظهر في كتاباته دعماً غير مشروط للحملة؛ مستنداً إلى روح البابوية، ولجأ إلى اقتباسات دينية من التوراة، والإنجيل؛ لتبرير أفعال الصليبيين، وغلبت على أسلوبه الرؤى، والغيبيات مع تعصب واضح ضد المسلمين، ورغم ضعف أسلوبه أحياناً، وتردده في ذكر بعض التفاصيل فإن رواياته عما شاهده شخصيًا اتسمت بالدقة؛ مما أكسبه مكانة مرموقة بين مؤرخي الحملة.

٢- **<u>المؤرخون المسلمون:</u>**

تمثل الحملة الصليبية الأولى (٤٩٢-٤٨٨ه / ١٠٩٦-١٠٩٩م) محطة محورية في التاريخ الإسلامي، والشرق أوسطي؛ حيث شهدت مواجهات عسكرية، وسياسية بين القوات الصليبية التي انطلقت من أوروبا الغربية، وجيوش المسلمين التي كانت تحكم مناطق واسعة من الشام، والحجاز، والعراق، وقد انعكست هذه المواجهات بشكل واضح في كتب المؤرخين المسلمين الذين وثقوا هذه المرحلة من منظورهم الخاص، ولأن الحملة الصليبية الأولى كانت بداية لما سمي بالحملات الصليبية، فإن دراسة تصورات المؤرخين المسلمين عنها تساعد في فهم كيف تم تشكيل الذاكرة الجماعية الإسلامية تجاه هذه الأحداث [٢٧].

أ- **ابن القلانسي:**

يُعد ابن القلانسي واحداً من أبرز المؤرخين المسلمين الذين عاصروا الحملة الصليبية الأولى، وقد عايش تفاصيلها من موقعه في مدينة دمشق التي كانت آنذاك مركزاً حيوياً للمواجهة بين القوى الإسلامية، والصليبية، وهو ما جعل روايته وثيقة محلية من الدرجة الأولى تعكس وجهة نظر الداخل الإسلامي، ولقد ولد يوسف بن محمد

[٢٧] لؤي إبراهيم بواعنة، رؤية المؤرخين الفرنج لواقع المسلمين إبان الحملة الصليبية الأولى ٤٩٠-٥٢١ هـ ١٠٩٦-١١٢٧م، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد ٥، العدد ٣، ٢٠١١م، ص ٦٠.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد – مجلة علمية محكمة إبريل ٢٠٢٤

بن عبد الله القلانسي في أسرة دمشقية تنتمي إلى النخبة الإدارية، وقد تولى منصب "رئيس الكتاب" في دمشق؛ مما أتاح له الاطلاع المباشر على المراسلات السياسية، والعسكرية، والأحداث اليومية الجارية في البلاط المحلي [٢٨].

ودون ابن القلانسي في عمله التاريخي الشهير ذيل تاريخ دمشق وقائع الحملة الصليبية الأولى من لحظة اقترابها من حدود بلاد الشام إلى مراحل المواجهة الكبرى حول أنطاكية، وحصار القدس، وما أعقبها من اضطرابات في الداخل الإسلامي، وقد حرص على توثيق الأحداث بأسلوبٍ متتابع شبه يومي، وهو ما أكسب روايته طابعًا ميدانيًا متميزًا.

واعتمد ابن القلانسي على مصادره المباشرة، وشهادات سكان دمشق، وبعض القادة المحليين، كما تأثر بطبيعة منصبه الإداري، والسياسي الذي جعله على تماس دائم مع صناع القرار، ويلاحظ في كتابته ميله إلى تحميل الأمراء المسلمين؛ لاسيما السلاجقة في الشام مسؤولية التراجع أمام الحملة بسبب تشرذم صفوفهم، وتضارب مصالحهم، كما وجه نقداً شديداً للتقصير في التنسيق العسكري، والخذلان المتبادل بين القوى الإسلامية المختلفة.[29]

ولقد ظهر في كتاباته أيضًا توتر إنساني واضح تجاه ما رآه من معاناة المدنيين؛ حيث نقل مشاهد الدمار، والنزوح، والمجازر التي ارتكبها الصليبيون بحق المسلمين في المدن التي احتلوها، واتسمت لغته بالواقعية، وتجنب المبالغة رغم انفعاله أحياناً في إدانة العدوان الفرنجي، وقد غلف بعض رواياته بإشارات دينية تعكس حسًا بالمسؤولية الحضارية، والدينية تجاه الدفاع عن دار الإسلام.

وعلى الرغم من بساطة أسلوبه من الناحية البلاغية مقارنة بمؤرخين لاحقين؛ إلا أن دقة ملاحظاته المعتمدة على المشاهدة الشخصية، وتماسه المباشر مع الأحداث، وأكسبت عمله مكانة مرموقة بين مؤرخي تلك المرحلة، ولا يزال ذيل تاريخ دمشق يُعد من أهم المصادر الإسلامية التي تناولت الحملة الصليبية الأولى من منظور

---

[٢٨] ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ترجمة: إدوارد صايغ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٤٥.

[29] Mohd Yaseen Gada, Muslim reactions to the Crusades an Analysis of the Muslim Ideological, Military, and Diplomatic Responses to the Medieval Christian Crusades, Ilahiyat Studies, Volume 6, Number 2, 2015, P 229.

شرقي معاصر، ومرآة دقيقة لمزاج المسلمين السياسي، والاجتماعي في قلب الشام خلال واحدة من أكثر الفترات اضطراباً في تاريخهم الوسيط [٣٠].

ب- **ابن الأثير:**

يُعد ابن الأثير من أبرز المؤرخين المسلمين في العصور الوسطى، وقد ترك أثراً بالغًا في تأريخ الحروب الصليبية رغم أنه لم يعاصر الحملة الصليبية الأولى زمنياً؛ حيث ولد في الموصل عام ٥٥٥ه/١١٦٠م بعد نحو ستة عقود من انطلاق الحملة الأولى؛ إلا أن تحليلاته جاءت نتيجة لتراكم خبرات، ومصادر، ومعطيات شكلت رؤيته التاريخية الناضجة، وإن اسمه الكامل هو عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، وقد تميز بمنهجه التحليلي النقدي، واشتهر بعمله الموسوعي الكبير الكامل في التاريخ، والذي يُعد من أهم المراجع التاريخية الإسلامية في العصور الوسطى [٣١].

خصص ابن الأثير في مؤلفه فصولًا مفصلة للحملات الصليبية الأولى؛ مستنداً إلى مرويات المؤرخين المعاصرين له كابن القلانسي، إضافة إلى وثائق، وروايات متداولة بين سكان المشرق، كما جمع شهادات ممن عايشوا الوقائع، أو نُقلت إليهم بأمانة، وقد مزج بين السرد، والتفسير، وهو ما جعل طرحه يتجاوز التوثيق إلى التحليل النقدي للمقدمات، والنتائج.

وينظر ابن الأثير إلى الحملة الصليبية الأولى؛ باعتبارها امتداداً طبيعياً لسلسلة من الحملات العدائية الأوروبية ضد العالم الإسلامي ابتدأت بغزو صقلية، والأندلس، واستمرت لاحقًا في الشام ومصر، فهو لا يعالج الحملة كحدث منفصل؛ بل يدرجها ضمن مشروع توسعي غربي تغذيه الأطماع السياسية، والدينية للبابوية، والملوك الأوروبيين، ويصوره؛ كصراع حضاري طويل المدى[32].

وقد أبرز ابن الأثير دور الانقسام الداخلي بين المسلمين في إضعاف الموقف الدفاعي؛ مؤكداً أن الأمراء، والحكام انشغلوا بالصراعات الشخصية، والتنازع على السلطة في وقتٍ كانت فيه الجيوش الصليبية تتقدم داخل الأراضي الإسلامية، ويرى

---

[30] Pemberton, Barbara B., The Islamic View of the Crusades and Their Significance: Historical and Contemporary Perspectives, University of Hawaii International Conferences on Science, Technology, Engineering, Arts, Mathematics, and Education, 2016, p13.

[٣١] عز الدين على بن محمد ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٩، ١٩٩٧م، ص ١٢٠–١٣٥.

[32] Gabrieli, Francesco, ed. Arab Historians of the Crusades. Translated by E. J. Costello. (Berkeley: University of California Press, 1957), 47–59.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد – مجلة علمية محكمة إبريل ٢٠٢٤

أن التنافس بين السلاجقة في الشام، وتنازع الزعامة بين القوى الإقليمية أدى إلى غياب الجبهة الموحدة؛ مما أتاح للصليبيين السيطرة على المدن واحدة تلو الأخرى دون مقاومة موحدة.

وقد تميز ابن الأثير بتحليله العميق لأسباب الهزيمة؛ حيث لم يُرجعها فقط إلى التفوق العددي، أو العسكري للفرنجة؛ بل حمل المسلمين أنفسهم جانبًا كبيرًا من المسؤولية؛ منتقدًا بشدة ضعف القيادة، وتخلي بعض الحكام عن مسؤولياتهم التاريخية، وفي الوقت ذلته لم يخل طرحه من روح الأمل في تجاوز هذه الأزمة؛ إذ كثيرًا ما نادى بوحدة الصف الإسلامي؛ معتبرًا أن انتصار المسلمين لا يكون إلا بالتكاتف، ونبذ الفرقة.

وعلى المستوى الأسلوبي كتب ابن الأثير بلغة راقية متينة جمعت بين البلاغة، والتوثيق، وامتازت بسلاسة السرد، والقدرة على الربط بين الأحداث الكبرى؛ مما جعل كتابه يحظى بمكانة رفيعة لدى المؤرخين المسلمين، والشرقيين، والغربيين على حد سواء، كما يظهر تأثره بالمنهج العقلاني في عرض الوقائع؛ حيث كان يحرص على مقارنة الروايات، وتنقيحها، وتقديم وجهات نظر متعددة قبل استخلاص النتائج.

وقد شكلت تصورات ابن الأثير للحملة الصليبية الأولى مرآة لفهم أوسع للسياق الحضاري، والسياسي الذي كانت تعيشه الأمة الإسلامية، وفتحت الباب أمام قراءة نقدية للتاريخ تهدف إلى استخلاص العبر من الماضي لبناء مستقبل أكثر تماسكًا.

ج- **العماد الأصفهاني وأبو شامة: رؤى من داخل بلاط صلاح الدين:**

يُعد كل من العماد الأصفهاني، وأبو شامة المقدسي من المؤرخين المسلمين البارزين في عصر الحروب الصليبية، وقد برزت أهميتهم لا فقط بسبب قربهم الزمني من أحداث الحملة الصليبية الأولى وما تلاها؛ بل أيضًا بفضل قربهم السياسي، والمعرفي من دوائر الحكم، والنخبة، خصوصًا في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي رغم أنهما لم يعاصرا الحملة الصليبية الأولى مباشرة؛ إلا أن أعمالهما حملت تأثيرات واضحة من تداعيات تلك الحملة، وتناولت آثارها بعمق في ضوء صعود المشروع الأيوبي المقاوم.

(١)العماد الأصفهاني:

العماد الأصفهاني (٥١٩– ٥٩٧ هـ/١١٢٥–١٢٠١م)، واسمه الكامل عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم ولد في أصفهان، وانتقل إلى بلاط صلاح الدين؛ حيث شغل منصب كاتب الإنشاء، وقد شهد وقائع كثيرة من الحملات الصليبية اللاحقة، وكان قريباً من صناع القرار، وألف كتابه الشهير الفتح القُدسي الذي تناول فيه وقائع تحرير القدس سنة ١١٨٧م عقب معركة حطين؛ لكنه لم يقتصر على الحوادث الآنية؛ بل قدم تأطيراً فكرياً، ولأيديولوجياً متأثراً بميراث الحملة الصليبية الأولى [٣٣].

ويركز العماد في كتابه على تصوير الجهاد ضد الصليبيين بوصفه واجباً شرعياً، وأخلاقياً يجمع بين الدفاع عن العقيدة الإسلامية، والحفاظ على الكيان السياسي للأمة، كما يبرز في عمله البعد الرمزي للقدس؛ باعتبارها "قلب العالم الإسلامي"، واستعادتها بمثابة انتصار ديني، ووطني في آن واحد، وجاءت لغته فخمة، ومزخرفة متأثرة بأساليب البلاغة الأدبية في البلاط؛ لكنه لم يخف إعجابه الشديد بصلاح الدين، وهو ما يجعل روايته تحمل بعداً دعائياً إلى حد ما، وإن كانت في الوقت نفسه تعكس حرارة الشعور الجمعي الإسلامي آنذاك.

(٢)أبو شامة:

أما أبو شامة المقدسي (٥٩٩ – ٦٦٥هـ/١٢٠٣–١٢٦٧م)، فهو واحد من أبرز مؤرخي القرن السابع الهجري؛ عرف بدقته النقدية، وقدرته على الربط بين الحدث السياسي، وظروفه الاجتماعية، واسمه الكامل هو عبد الرحمن بن إسماعيل، وكتب مؤلفه المهم الروضتين في أخبار الدولتين النورية، والصلاحية الذي عرض فيه تاريخ الدولتين الزنكية، والأيوبية بما في ذلك تطورات الصراع مع الصليبيين منذ أواخر القرن الخامس الهجري [٣٤].

وينظر أبو شامة إلى الحروب الصليبية ضمن سياق داخلي؛ حيث لم يركز فقط على غزوات الفرنجة؛ بل على الأزمات التي عصفت بالعالم الإسلامي من تمزق سياسي، وتنازع السلطة، واختلال في إدارة الجهاد، وميزته القدرة على

---

[٣٣] العماد الأصفهاني، الفتح القدسي ونصرة الدولة النورسية، تحقيق: محمد إبراهيم الفيومي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٣٠.

[٣٤] أبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٥٠.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد – مجلة علمية محكمة إبريل ٢٠٢٤

تقديم قراءة تحليلية معمقة تظهر أن الهزيمة ليست مجرد نتيجة لقوة العدو؛ بل نتيجة خلل بنيوي داخل المجتمعات الإسلامية، خاصةً في غياب القيادة الموحدة، وتداخل الطموحات السياسية بالأهواء الشخصية.

كما يتطرق إلى مظاهر البطولة التي أظهرها بعض للقادة المحليين، والمجلهدين موثقًا قصص التضحيات الشعبية في محاولة منه لاستعادة الثقة بالذات الجماعية، وتأكيد أن الصراع لم يكن يائسًا؛ بل ممتدًا، كما أن الانتصار لا يأتي إلا عبر العمل الإصلاحي الداخلي، والتخطيط العسكري المدروس، وكانت لغته وسطًا بين البيان، والتحقيق، وجمع في أسلوبه بين العاطفة، والتحليل.

ولقد شكلت رؤى العماد الأصفهاني، وأبو شامة ركيزة مركزية لفهم تطور الخطاب الإسلامي تجاه الحروب الصليبية؛ إذ مزج الأول بين الإيمان، والدعاية السياسية؛ بينما قدم الثاني سردية نقدية عقلانية تشكل جسرًا بين التاريخ، والتفسير الاجتماعي، والسياسي.

د- **المقريزي:**

يُعد تقي للدين المقريزي (٨٤٦-٧٦٥ هـ/١٣٦٤-١٤٤٢م) من أعلام الفكر للتاريخي الإسلامي في أواخر العصور الوسطى، وقد جاء في زمن متأخر نسبيًا عن الحملة الصليبية الأولى؛ لكن كتاباته تعكس وعيًا تاريخيًا متقدمًا، وتحليلًا عميقًا لمسارات الضعف، والقوة في العالم الإسلامي، فقد ولد في القاهرة في ظل الحكم المملوكي، وعاش مرحلة ما بعد انهيار الخلافة العباسية في بغداد، وهي فترة اتسمت بالتفتت السياسي، والتحديات الخارجية؛ مما جعل دراسته للتاريخ مشبعة بروح نقدية إصلاحية واضحة [٣٥].

لم يفرد المقريزي مؤلفًا مستقلًا للحروب الصليبية؛ لكنه تناولها في ثنايا عدد من كتبه، مثل: السلوك لمعرفة دول الملوك، والخطط المقريزية؛ حيث استعرض الحملات الصليبية ضمن سياق تاريخي أطول امتد من سقوط بغداد إلى صراع المماليك مع الغزاة الإفرنج، والتتار، وقدم تحليلًا بالغ العمق للحملة الصليبية الأولى تحديدًا بوصفها لحظة كاشفة عن ضعف البنية السياسية، والاجتماعية في العالم

[٣٥] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج٢، ص ٨٤.

الإســـلامي، ورأى أنها لم تكن فقط نتيجة عدوان خارجي؛ بل نتيجة أزمة داخلية عميقة.

ويرى المقريزي أن الحملات الصـــليبية لا ينبغي اختزالها؛ كأحداث عســـكرية؛ بل يجب قراءتها كتحولات ســـياســـية، وثقافية نشـــأت في لحظةٍ انحدرت فيها الخلافة الإســـلامية عن دورها القيادي، فالصـــراع مع الفرنجة كان في نظره ثمرة مباشـــرة لانحلال وحدة القرار، وانشـــغال الســـلاطين، والولاة بالترف والتنازع، وغياب المشروع السياسي الجامع الذي يعطي الأولوية للدفاع عن الأمة.

وقد حرص المقريزي على توثيق هذه المرحلة في إطار نقدي إصـــلاحي؛ مســـتخدماً أســـلوبًا يقوم على الموازنة بين الروليات للتاريخية، مع بُعد واضـــح في التحليل الاجتماعي، والاقتصادي؛ إذ اعتبر أن الضعف العسكري ما هو إلا نتيجة لتراكمات طويلة من الظلم الداخلي، والفســـاد المالي، واحتكار الســـلطة، وهي أســـباب مهدت الطريق أمام الصليبيين، وغيرهم للتوغل في أراضي المسلمين.

وفي تحليله لا يُخفي المقريزي نزعته التربوية، فهو يعرض الأحداث لا بغرض الســـرد فقط؛ بل بهدف اســـتخلاص العبر منها، وتحفيز الأمة على تجاوز أخطائها، ويكرر في أكثر من موضـــع دعوته لليقظة، والوعي التاريخي، وقد ظهر تأثره بأســـلوب ابن خلدون في بعض المواضـــع، خاصـــة في الربط بين الدورة التاريخية، والانحطاط السياسي [٣٦].

أســـلوب المقريزي في الكتابة يتميز بالدقة، والاقتصـــاد اللغوي؛ مقارنةً بأســـاليب المؤرخين البلاغيين؛ لكنه يحمل عمقًا فكريًا في طرح القضـــايا، ووعيًا بالمشـــكلات البنيوية التي كانت تواجه المجتمعات الإســـلامية، ولهذا تُعد كتاباته مســـاهمة متأخرة؛ لكنها نوعية في بناء الوعي الإســـلامي بتاريخ الحروب الصـــليبية؛ باعتبارها مرآة لأزمة داخلية أكثر منها غزواً خارجيًا فقط.

<u>أثر التصورات على تشكيل الوعي التاريخي:</u>

تلعب تصـــورات المؤرخين؛ ســـواء من الجانب الإســـلامي، أو اللاتيني دوراً محورياً في تشـــكيل الوعي التاريخي المتعلق بالحملة الصـــليبية الأولى؛ إذ إن هذه التصـــورات تتجاوز مجرد تســـجيل الأحداث؛ لتشكيل أطر فكرية، وثقافية، وفلسفية تؤثر في فهم المجتمعات لتاريخها، وهويتها.

---

[٣٦] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: خليل محمد خليل، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥م، ج٢، ص ٢١١.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد – مجلة علمية محكمة إبريل ٢٠٢٤

ففي العالم الإسلامي مثلما قدمه ابن القلانسي، وابن الأثير، والعماد الأصفهاني، وأبو شامة والمقريزي كانت الرولية التاريخية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمواقف للدينية، والسياسية، والاجتماعية، فهؤلاء المؤرخون لم ينظروا إلى الحملة الصليبية باعتبارها مجرد مواجهة عسكرية؛ بل اعتبروها تحديًا وجوديًا دينيًا، ووطنيًا، وقد ساهمت كتاباتهم في ترسيخ مفهوم الجهاد؛ كواجب ديني وطني لحماية الأرض، والعقيدة، وهو تصور أسهم في بناء وعي جماعي عربي إسلامي حول أهمية الوحدة لمواجهة الغزو الخارجي.

كما أن النقد الذاتي الذي أبداه هؤلاء المؤرخون تجاه الانقسامات السياسية، والقبلية بين المسلمين، والمماطلة في اتخاذ موقف موحد شكل جزءًا مهمًا من الوعي التاريخي الإسلامي؛ حيث تحولت الحملة الصليبية إلى رمز لدروس التاريخ التي تحث على الإصلاح الداخلي، والتركيز على الوحدة السياسية، والاجتماعية، ولم يكن هذا النقد تهجمًا على الذات؛ بل محاولة لفهم أسباب الانكسار التاريخي، والاستعداد للمستقبل بأفضل صورة.

وإلى جانب ذلك كانت كتابات المؤرخين المسلمين تحمل بعدًا إنسانيًا واضحًا من خلال وصف معاناة المدنيين، والدمار الاجتماعي الذي خلفته الحملة؛ مما أضفى على الذاكرة التاريخية عمقًا إنسانيًا عاطفيًا، وساعد في تشكيل وعي يشمل ليس فقط الأحداث السياسية؛ بل الأثر البشري، والثقافي للحروب.

أما في الجانب الأوروبي فقد انطلقت الروايات التاريخية التي كتبها رجال الدين، والكهنة، ومنهم: ريموند داجيل، ووليم الصوري من منطلق ديني صارم ينظر إلى الحملة الصليبية على أنها حرب مقدسة فرضها الدين المسيحي ضد "الكفار"، كما يظهر بوضوح في استحضار النصوص الدينية، والغيبيات التي تعزز الشرعية الروحية للحملة، وساهم هذا التصور في تشكيل وعي جماعي أوروبي يعتبر الحروب الصليبية واجبًا دينيًا مقدسًا يرتبط بتوحيد أوروبا في مواجهة العدو الإسلامي.

لكن، وبالرغم من التعصب الظاهر في كثير من المؤلفات اللاتينية ظهر بعض المؤرخين، مثل: وليم الصوري، و"أنا كومنين" بمواقف أكثر واقعية، وتحليلية قدمت نظرة أعمق، وأقل تعصبًا، وهو ما مكن لاحقًا من إعادة تقييم هذا الجزء من التاريخ الأوروبي من خلال منظور أكثر شمولية.

والأهم من ذلك أن تصورات المؤرخين من الطرفين ساهمت في صنع ذاكرة تاريخية متعددة الأبعاد لا يمكن اختزالها في سرد واحد، كما أن هذه الذاكرة تجمع بين الديني، والسياسي، والوطني، والاجتماعي، والإنساني، والعسكري، وتؤثر بشكل مستمر في طريقة فهم المجتمعات

لماضـــيها، وقد أفضـــى هذا التنوع في الرواليات إلى إتاحة فرص لإعادة النظر في للتاريخ بموضوعية، وتعزيز الحوار الثقافي بين الشرق، والغرب، وفتح باب لفهم أعمق يخرج عن دائرة الأحكام المسبقة، والصراعات الأيديولوجية.

ويمكن القول بأن تصورات المؤرخين عن الحملة الصليبية الأولى لعبت دوراً حاسماً في تشكيل وعي تاريخي جماعي لكلا الطرفين، هذا الوعي لم يكن ثابتاً، أو جلمداً؛ بل تطور عبر القرون ليعكس تجارب جديدة، ورؤى مغايرة، ويمثل حجر الزاوية لفهم الحروب الصـــليبية ليس فقط؛ كحروب عسـكرية؛ بل كحلقات تاريخية أثرت في مجريات العلاقات بين الشـرق، والغرب حتى اليوم.

الخاتمة:

تعرضنا فيما سبق تصورات كل من المؤرخين الغربيين، والمسلمين، واتضح لنا **ما يأتي:**

إن غالبية مؤرخي الحملة الصـليبية الأولى من الجانب اللاتيني كانوا من رجال الدين الكنسـيين؛ إذ كان التعليم في أوروبا خلال العصـور الوسـطى مقتصـراً تقريباً على المؤسـسـات الدينية، وقد كرس هؤلاء المؤرخون حياتهم لتوثيق الأحداث التي شـــهدوها دون أن تشـــغلهم مســـؤوليات شخصية؛ كالزواج، أو الأبوة، واستثني من ذلك "صاحب أعمال الفرنجة" الذي كان فارساً بسيطاً؛ متميزاً برواياته المفصلة، والموضوعية، خاصةً فيما يتعلق بالمعارك، وآليات الحصار، ووسائل الهجوم، والدفاع عن المدن المحصـنة التي اسـتولى عليها الصـليبيون، كذلك تميزت "أنا كومنين" بوجهة نظر مغايرة للمؤرخين اللاتين؛ مســـتندة إلى رؤية ولدها الإمبراطور، والإمبراطورية البيزنطية التي لم ترَ في الصـليبيين سـوى جماعة من البرابرة الهمج الذين دفعهم الطمع الدنيوي للانخراط في هذه الحملة.

ولقد كان كل مؤرخ لاتيني يدون تحت رعاية أمير معين يلتزم بتقديم رواية متحيزة تخدم مصالحه، فمثلًا ارتبط "صاحب أعمال الفرنجة" وفوشيه الشارتري ببلدوين الأول، وريموند داجيل بريموند الصنجيلي، وفي المقابل برز وليم الصوري؛ كأبرز مؤرخي الحروب الصليبية اللاتينية؛ إذ كان كتابه شـــاملًا، وغطى فترة زمنية طويلة، كما مثل وجهة نظر ملوك مملكة بيت المقدس الذين عاصـــرهم، وتميز كتابه بطرح تحليلات، واســـتقراء دقيق للتاريخ، واحتوى على توقعات مستقبلية دقيقة، منها: توقعه نهاية مملكة بيت المقدس الصليبية.

فحملت المؤلفات اللاتينية كمية كبيرة من التعصـب، والتشـنج ضـد المسـلمين بمختلف تسـمياتهم؛ ســـواء عرباً، أو أتراكاً ســـلجوقيين، أو عرب فاطميين، كما اتســـمت كتابات المؤرخين اللاتين بالكثير من الغيبيات، والرؤى التي تحث على القتال ضـــد المســـلمين بدرجات متفاوتة، ويعد

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد – مجلة علمية محكمة إبريل ٢٠٢٤

ريموند داجيل في قمة هذه المؤلفات؛ بينما جاءت كتابات وليم الصوري أكثر واقعية، وموضوعية في تعاطيها مع الأحداث، واحتلت أنا كومنين المرتبة الثانية من حيث المصداقية؛ نظراً لتلقيها تعليماً رصيناً في قصر والدها الإمبراطوري.

نتائج البحث:

تتمثل نتائج البحث من خلال **الآتي:**

١- كان أغلب المؤرخين المسلمين، واللاتين ذوي خلفيات مؤسسية مختلفة؛ حيث جاء معظم المؤرخين اللاتين من رجال الدين الكنسيين الذين سجلوا الأحداث بمنظور ديني متعصب؛ بينما تنوع المؤرخون المسلمون بين معاصرين، ومؤرخين متأخرين اعتمدوا على مصادر متعددة، منها: الشفوية، والمكتوبة.

٢- اتسمت روايات المؤرخين اللاتين بالولاء لأمراء، وحكام معينين؛ مما أثر على موضوعية الروايات، وأدى إلى تقديم سرديات متحيزة تصب في مصلحة رعاتهم على عكس المؤرخين المسلمين الذين رغم انتماءاتهم، غالباً ما قدموا نقداً ذاتياً للقيادة الإسلامية، وضعفها.

٣- ركز المؤرخون المسلمون، مثل: العماد الأصفهاني على البعد الديني في تصوير الحملة؛ كواجب جهادي لاستعادة القدس؛ بينما جسدت المؤلفات اللاتينية روح الحملات الصليبية الدينية؛ لكنها غالباً ما رافقتها خطابات تحريضية، وتحزبات عنصرية ضد المسلمين.

٤- اتسمت بعض كتابات المؤرخين اللاتين، مثل: ريموند داجيل بالغيبية، والرؤى الدينية التي تبرر القتال؛ بينما أظهر مؤرخون، مثل: وليم الصوري، و"أنا كومنين" وعياً، وتحليلاً أكثر واقعية، وحذراً؛ مما يجعل كتاباتهم أكثر مصداقية مقارنة ببقية المؤلفات.

٥- اتفق معظم المؤرخين المسلمين على أن الانقسامات السياسية، والقبلية الداخلية كانت العامل الرئيس في نجاح الحملة الصليبية؛ مؤكدين على ضرورة الوحدة، والقيادة الموحدة لمواجهة التحديات الخارجية.

٦- سجل المؤرخون؛ لاسيما ابن القلانسي معاناة المدنيين، والدمار الاجتماعي الناجم عن الحملة؛ مسلطين الضوء على الكلفة الإنسانية للحروب الصليبية، وهو جانب أقل حضوراً في المصادر اللاتينية.

٧- حملت كتابات المؤرخين خصوصاً المتأخرين منهم؛ كالمقريزي دعوة واضحة للاستفادة من تاريخ الحملة الصليبية في تحقيق الوحدة الوطنية، والاجتماعية، والسياسية، وتحذيراً من تكرار أخطاء الماضي.

توصيات البحث:

لقد توصل البحث إلى عدة توصيات تتمثل في **الآتي:**

١- ينبغي على الباحثين في دراسة الحملة الصليبية الأولى أن يتبنوا منهجيات مقارنة نقدية تتيح فهم الاختلافات، والتقاطع بين التصورات الإسلامية، والغربية بشكل موضوعي مع مراعاة السياقات الثقافية، والسياسية التي شكلت كل تصور.

٢- يوصى بالعودة إلى المصادر الأولية من الجانبين الإسلامي والغربي؛ سواء كانت نصوصاً تاريخية أدبية، أو دينية؛ لفهم القيم، والمعتقدات التي أثرت على الروليات المختلفة، وتفادي الانحياز، أو التفسيرات المتأخرة.

٣- من المهم دراسة الأبعاد الدينية، والإيديولوجية التي شكلت تصورات المؤرخين؛ حيث إن الحملة الصليبية الأولى تُفهم في الغرب غالباً كحملة مقدسة لتحرير الأراضي المقدسة؛ بينما ترى في المصادر الإسلامية كغزو واعتداء، مما يستوجب تفكيك هذه الأطر لفهم أعمق.

٤- يجب فحص كيف أثرت الظروف السياسية، والاجتماعية لكل من الشرق، والغرب في تشكيل السرد التاريخي للحملة، خاصةً فيما يتعلق بالمصالح القومية، والمذهبية التي يمكن أن تلون التصورات التاريخية.

٥- ينبغي تعزيز البحث عبر التخصصات، مثل: علم الاجتماع، وعلم النفس الجماعي، ودراسات الخطاب؛ لفهم كيفية بناء الذاكرة التاريخية للحملة الصليبية، وتأثيرها على الهوية الجماعية في كلا المجتمعين.

٦- من الضروري نقد، وتقييم الدراسات الاستشراقية الغربية التي قد تكون تحمل تحيزات معينة، والعمل على تطوير روايات تاريخية إسلامية أكثر استقلالية، وتوازناً.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

١. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ترجمة: إدوارد صايغ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٤٥.

٢. أبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

٣. تقي للدين أحمد بن علي المقريزي، الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: خليل محمد خليل، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥م.

٤. تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ج٢، ١٩٩٦م.

٥. سمالي، المؤرخون في العصور الوسطي، نور حوران للدراسات والنشر والتراث، دمشق، ط١، ٢٠٢٠م.

٦. عبد العظيم رمضان، مقدمته على تاريخ وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.

٧. عز الدين على بن محمد ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٩، ١٩٩٧م.

٨. العماد الأصفهاني، الفتح القدسي ونصرة الدولة النورسية، تحقيق: محمد إبراهيم الفيومي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦م.

٩. قاسم عبده قاسم، المؤرخون في العصور الوسطي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م.

١٠. لؤي إبراهيم بواعنة، رؤية المؤرخين الفرنج لواقع المسلمين إبان الحملة الصليبية الأولى ٤٩٠-٥٢١هـ ١٠٩٦-١١٢٧م، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد ٥، العدد ٣، ٢٠١١م.

١١. محمد إبراهيم محمد خلف، صيحة الحرب لصليبي الحلمة الأولي، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، العدد الثالث، ٢٠١٧م.

١٢. نبيل محسن خلف الركابي، فوشيه الشارتري مؤرخاً للحملة الصليبية الأولي ومملكة بيت المقدس، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٩م.

١٣. هوليا عزيز توفيق، الحملة الصليبية الأولي في كتابات المؤرخين اللاتين المعاصرين (٤٨٩هـ-٤٩٢هـ /١٠٩٦-١٠٩٩م)، مجلة الجامعة العراقية، العدد ٥٩، ج٣، ٢٠٢٣م.

المراجع الأجنبية:

14. Gabrieli, Francesco, ed. Arab Historians of the Crusades. Translated by E. J. Costello. (Berkeley: University of California Press, 1957).
15. Mohd Yaseen Gada, Muslim reactions to the Crusades an Analysis of the Muslim Ideological, Military, and Diplomatic Responses to the Medieval Christian Crusades, Ilahiyat Studies, Volume 6, Number 2, 2015.
16. Muhammad Imtiyaz Ahmed, The First Crusade, university of oxford, February 2024.
17. Pemberton, Barbara B., The Islamic View of the Crusades and Their Significance: Historical and Contemporary Perspectives, University of Hawaii International Conferences on Science, Technology, Engineering, Arts, Mathematics, and Education, 2016.
18. Yusuf Toyloglu, To Understand the Crusades - The First Crusade: Political, Economic, and Religious Dynamics Behind the Conquest of Jerusalem, Sapienza Università di Roma – Istanbul University – Erasmus Exchange Student, 2022.